10me Année No. 478

Lundi - 31 - 8 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٣٣٩٠

العـــدد ٤٧٨ « القاهرة في يوم الإثنين ١٩ شعبان سنة ١٣٦١ — الموافق ٣١ أغسطس سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

١١ ٥ ١٩

الحديث ذو شجون

عواطف عربية

للدكتور زكي مبارك

في خطاب من حضرة الأستاذ سعيد العيسى إشارة صريحة إلى أننا لا نهتمّ بالحديث عن الحياة الأدبية في « فلسطين » ، وفي خطاب من حضرة الأستاذ رشاد المغربي عبارة تقولُ : إن مجلة « الرسالة » لم تنوّه بروايته الجميلة « خطيئة الشيخ » ؛ وفي مقال حضرة الأستاذ عباس العقاد أن جماعة من اللوبيين يأخذون على مصر سكوتها عن الأدب في وطنهم المحبوب

وهذا العتاب ليس بجديد ، وهو يعاد من يوم إلى يوم ، وما دخل أديبٌ مصريٌّ بلداً عربيًّا إلا سمع ألواناً من هذا العتاب ، فهل أستطيع الجهر بكلمة الحق مرة واحدة ، ليعرف الإخوان هنالك أن عليهم تبعات فيما يُنسب إلينا من تقصير وإهمال ؟

ولشرح هذه الكلمة أقول :

أعلنت مجلة « الرسالة » أنها ستصدر أعداداً خاصة بالبلاد

الأدبى لتلك الأعداد من أقلام كبار الباحثين بتلك البلاد ، وأنها ستبدأ بالعراق

فما الذى يُنتظَر لتحقيق هذا المشروع النافع ؟

أتستطيع « الرسالة » إيفاد مندوبين إلى كل بلد لتحقق هذا الغرض على أكمل الوجوه ؟

الجواب عند « خزينة الرسالة » إن كانت تستطيع ، ولعلها تستطيع لأنوب عنها فى زيارة بغداد أو دمشق أو بيروت بضعة أسابيع !

فلم يبق إلا أن نقترح خطة سديدة لتنفيذ الاقتراح بلا عناء والخطة سهلة جداً ، فماذا نصنع إذا أردنا إصدار عدد خاص بالسودان ؟

يقوم « نادى الخريجين » بواجبه : فيجمع الموادّ بعناية رجاله ، ثم يرسلها إلى مجلة « الرسالة » قبل انعقاد مؤتمرهم السنوى بأكثر من أسبوعين ؛ وعندئذ يسر مجلة « الرسالة » أن تشترك اشتراكا فعليًّا فى ذلك المهرجان

وماذا نصنع إذا أردنا إصدار عدد خاص بالعراق ؟

يقوم « نادى القلم العراق » بواجبه : فيجمع المواد بعناية رجاله ، ثم يرسلها إلى مجلة « الرسالة » فى الوقت الذى يريد ، فيكون هو المسئول أمام قراء « الرسالة » فى (العراق) ، وهو بحمل هذه المسئولية خليق

وفى العدد الخاص بسورية ، يقوم رجال « المجمع العلمى » بواجبهم : فيصورون ما فى وطنهم من أفكار وآراء وآمال …

وفى العدد الخاص بلبنان يُلقَى العبء على كاهل إحدى الجمعيات الأدبية هناك … وكذلك يقال فى سائر البلاد !

تلك هى الخطة السديدة ، ومن توهم أن مجلة « الرسالة » تصدر أعداداً خاصة بلا اطمئنان إلى هيئات تحمل المسئولية ، فهو يهيم فى بيداء الخيال …

وللأستاذ سعيد العيسى أن يتأمل فى هذه الكلمة إن كان يحب أن نؤدى خدمة صحيحة لوطنه العزيز فلسطين

العدد الخاص بالسودان

أنا أرجو من أخى الأستاذ الزيات أن يتفضل فيترك لى حرية التصرف فى إعداد العدد الخاص بالسودان ، لأستطيع القول بأنى صدقت فيما وعدت به إخوانى هناك . فإن سمح فأنا أرجو نادى الخريجين أن يشير على أعضائه بدرس الموضوعات الآتية :

١ — تحديد التاريخ الذى أشرق فيه الإسلام بآفاق السودان
٢ — المذاهب الفقهية والصوفية بالسودان
٣ — التيارات الفكرية الحديثة فى الحواضر السودانية
٤ — اللهجات العربية فى السودان
٥ — قيمة السودان من الوجهة الاقتصادية
٦ — الأساطير السودانية
٧ — منزلة السودان فى تاريخ الأدب العربى
٨ — المعاهد المصرية فى السودان
٩ — شعراء السودان وكتّابه وخطباؤه فى القديم والحديث
١٠ — مبلغ انتفاع الطلبة السودانيين بالحياة فى المدارس المصرية
١١ — المكتبات العمومية والخصوصية بالسودان
١٢ — الأغانى الشعبية ودلالتها على العواطف السودانية
١٣ — تأثير الأدب المصرى الحديث فى الجيل الجديد بالسودان
١٤ — آراء السودانيين فى الروابط العربية والإسلامية
١٥ — الفكاهة السودانية فى الأشعار والأقاصيص

تلك خمسة عشر موضوعاً تستحق اهتمام نادى الخريجين ، وأنا لا أفرض وإنما أقترح ، فقد تكون لديهم موضوعات أعظم من هذه الموضوعات ، والمهمّ هو المبادرة إلى تحقيق الاقتراح بإرسال الموادّ قبل انتهاء الأسبوع الثانى من شهر رمضان

إن وصلنا إلى إصدار عدد عن السودان بهذا الروح فلن يقول السودان إن مصر تنساه أو تتناساه ، ولن يقول أبناؤه عادلين أو ظالمين إن أشقّاءهم فى مصر لا يحفظون عهد الإخاء .

وإلى الفتيان من أعضاء نادى الخريجين أعهد تحقيق هذا الأمل الجميل

أرانى الله وجوههم بخير وعافية ، إنه قريبٌ مجيب

مطلع قصيدة

كان نقاد الأدب من العرب ينصون على مطالع القصائد ، كأن ينوهوا بهذا المطلع :

إنا محيُّوكَ فاسْلَمْ أيها الطللُ

فهل فى مطالع القصائد لهذا العهد ملامح تذكّر بتلك المعانى الصّحاح ؟

نعم ، ثم نعم ، فقد نظم الدكتور رشيد كرم قصيدة ليلقيها فى المؤتمر الطبى العربى الذى سيُعقَد فى بيروت ، وكان سيُعقد فى هذه الأيام ، لو سمحت هذه الأيام !

ابتدأ قصيدته فقال :

متى كانت لنا « سينا » حدودا

وأنا أسأل السؤال نفسه فأقول :

متى كانت لنا « سينا » حدودا

ومتى ترفع الحواجز الجمركية بين الأمم العربية والإسلامية ؟

إلى بعض الناس

إن شقاءكم بأنفسكم طال وطال ثم طال ، ولن نملك إبراءكم من ذلك الشقاء ، لأنه أخطر من أن يطب له أطباء النفوس والقلوب

لن تنفعكم الدسائس فى كثير ولا قليل ، فقد كانت الدسائس ولن تزال أسلحة الضعفاء

إستعينوا بالقوة مرةً واحدة ، وحاربوا الحق بسلاح الظلم ، لا بسلاح الإسفاف ، فقد يعفو الله عن الظالمين الأقوياء ، ولا يعفو عن الآثمين الضعفاء

لن أفرِّط فى تعليمكم أصول الأخلاق ، فكونوا ظلامين ، ولا تكونوا دساسين ، لأن الظلم قوة ، والدسيسة ضعف ، وباطل الأقوياء أشرف من حق الضعفاء

وطنى وبلادى

إلى الفتيَيْن المطيمَيْن « م . ن ج » و « ع . ع »

— وما اكتفيت بالتلميح إلا لأننى لم أستأذنهما فى النص على اسمهما بالتصريح — إلى هذين الفتيَيْن المطيمَيْن أوجه القول :

إن بلادنا لن تُضام أبداً ، ولن تكون لغير أهلها ، ولو تألبت عليها جيوش البر والبحر والهواء

بلادنا باقية باقية ، فى عزة وعافية ، ولن تنال منها المطامع الدولية إلا بقدر ما ينال النسيم المعلول من قمم الجبال

بلادنا طوّقت جميع البلاد بأغلال الديون العقلية والروحية ، ولن يتنفّس بلدٌ فى شرق أو فى غرب إلا وهو مدينٌ لمصر بدون نقال

لا تنسوا أن بلادكم دانت الفكر والعقل والروح ألوفاً من السنين ؛ ولا تنسوا أن أكبر مجد يظفر به الأوربيُّ المثقّف هو أن يحل رمزاً من رموز آبائكم الأولين

كان الخط المصرى القديم إشارات من ملامح الطير والحيوان ، فما تفسير ذلك ؟

يقول الجاهلون إنه دليل على الطفولة التاريخية

وأقول إنه دليل على العبقرية المصرية ، لأنه يجعل كل حرف كائناً حيًّا من طير أو حيوان ، والحروف خلائق حية عند من يعقلون

ثم ماذا ؟

ثم أذكر أن بلادنا هى التى صدّت المغول الوافدين من الشرق ، وهى التى صدت الصليبيين الوافدين من الغرب ، فكنّا الميزان لأبناء ذلك الزمان

ومن نحن اليوم ؟

برغم قسوة الظروف قد استطعنا أن نقول نحن ، وأن نفى بالعهد ؛ لأن مصر لا تكذب ولا تخون

لن تضام مصر أبداً ، لأنها وطن الرجال ، ولأنها أول وطن غلب الدهر الخوّان

أحبك يا وطنى ، أحبك يا بلادى ، حبًّا لا ينتظر أى جزاء ، لأنه أعظم من أى جزاء !

زكى مبارك

أطوار الوحدة العربية

الصراع بين العرب والترك

للأستاذ نسيب سعيد

حدثنا فى مقالنا الأول عن مراحل الوحدة العربية ، وكيف تطورت فكرة العروبة فى التاريخ ، فبعد أن كانت حلماً ذهبياً جيلاً فى مخيلة محمد على الكبير عزيز مصر خرجت إلى الوجود وأصبحت حقيقة واقعة ؛ فالمرحلة الأولى إذن انقضت والوحدة العربية لا تزال حلماً من الأحلام ، أما المرحلة الثانية فقد طبعها الجهاد فى سبيل تحقيق هذا الحلم بطابعه الخاص . وقد استهل هذا الجهاد العربى المبين بالنضال بين أبناء العروبة الأحرار وبين الأتراك وانتهت هذه المرحلة من سلسلة تاريخ القضية العربية عام ١٩١٨ وتشمل حوادث الفترة الممتدة من إعلان الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ حتى دخول الجيش العربى إلى دمشق فى أول أكتوبر سنة ١٩١٨ ، وإنشاء الحكومة الفيصلية فى ربوع الشام

ولئن ذهب بعض المؤرخين المعاصرين من الشرقيين والغربيين إلى اعتبار ما حدث فى العهد الحميدى التركى من حوادث فردية لا انسجام بينها ولا ارتباط كصدور كتاب أم القرى وطبائع الاستبداد ، ونشر كتاب يقظة العرب فى آسية التركية بالفرنسية فى باريس عام ١٩٠٥ من مقدمات الحركة العربية وطلائعها ، أو إنشاء الجمعية السرية التى أنشئت فى بيروت خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، فالنهضة العربية المادية الحقيقية لم تبدأ إلا بعد إعلان الدستور سنة ١٩٠٨ وقد قامت على دعامتين جديدتين : حرية الكلام ، وحرية الاجتماع ، فقد كفلها النظام الحكومى الجديد لسكان تلك المملكة ، فانطلقت الألسنة والأقلام ، وارتفع الضغط عن الأفكار ، وانتشرت العلوم ، فساعد هذا الانقلاب وهو خطير الشأن على إيقاظ العرب ، فأدركوا أنهم كمية مهملة فى العالم ، وأن لهم حقوقاً يجب أن ينالوها ، وكرامة يجب أن تصان ، ومجداً يجب أن يعملوا لإحيائه وتجديده

وصدرت صحف عربية عديدة فى ظل النظام الدستورى الجديد فى دمشق وبيروت والقدس وبغداد والبصرة وغيرها من بلاد العرب ، وفى الآستانة نفسها ، وإلى هذه الصحف ، وبصورة خاصة إلى الصحف العربية التى كانت تصدر فى القطر المصرى الحبيب ، يعود معظم الفضل فى تكوين « الرأى العام العربى » وإنشائه ، وبث الروح القومية بين طبقاته

ولم يغتفر لها الترك ذنبها يوم نصبوا الميزان فى عاليه لمحاكمة أحرار العرب ، فكان الصحافيون أكثر الطبقات ضحايا ، فقد استشهد منهم فى هذه المرحلة الكثيرون ، وحكم فى هذا الدور بالإعدام غيابياً على فريق من رجال الصحافة فى مصر ؛ ويأتى رجال الجمعيات والأحزاب السياسية بعد الصحافيين . ولئن كان ضحايا هؤلاء أقل من أولئك ، فما ذلك إلا لعجز الترك عن اكتشاف أسرار الجمعيات السرية لما تذرع به رجالها من تكتم شديد خلال التحقيق والمحاكمة . ومن تحصيل الحاصل القول بأن المنتدى الأدبى فى الآستانة كان أكثر الجمعيات العربية ضحايا ، لأنه كان أشهرها وأهمها ، ولأنه كان مقر الدعاية العربية فى الآستانة ؛ فانتقم الترك من مؤسسيه انتقاماً مريعاً . ويأتى حزب اللامركزية بعد المنتدى الأدبى العربى ، فقد فتك الترك بكل من استطاعوا القبض عليه من رجاله ، كما حكموا على المقيمين بمصر كافة بالإعدام . ثم يأتى بعد ذلك عنصر الضباط العرب فى الجيش التركى ، فكانوا يرسلونهم إلى خطوط النار فى ميادين الحرب ، وقد استشهد كثيرون منهم على هذا المنوال

ولا بد لنا من القول بأن « القضية العربية » مرت فى هذه المرحلة بثلاثة أدوار :

١ — يبدأ الدور الأول بإعلان الدستور سنة ١٩٠٨ ، وينتهى بإعلان الحرب العظمى عام ١٩١٤ ؛ فقد نهج العرب فى خلاله نهج الأمم الناهضة العاملة للحرية والاستقلال ، فألفوا الجمعيات السرية ، وأصدروا الصحف ، ونظموا القصائد الحماسية القومية ، وأنشأوا الأحزاب السياسية ، وعملوا على التنظيم الداخلى ، وأنشأوا الروابط بين لجانهم وجمعياتهم وأنديتهم ،

واستعدوا للعمل الكبير الذى وضعوا نصب أعينهم القيام به ، تحقيقاً لحلم عزيز مصر المظيم محمد على باشا

ولا يسع الباحث فى أعمال هذا الدور إلا الإعجاب بما يشهده من انتظام وتضامن وتعاون بين أبناء العرب فى جميع الأقطار والأنحاء

٢ — أما الدور الثانى ، وهو دور الإرهاب والظلم ، أو دور مطاردة رجال «القضية العربية» وأحرار العرب ومفكريهم ؛ فيبدأ من أوائل عام ١٩١٥ ، أى من زمن وصول جمال باشا السفاح إلى دمشق وإصداره أمره بإلغاء كتيبة الضباط العرب الشباب من خريجى المدارس العليا ؛ وكانوا يمرنونهم فى دمشق ويعدونهم ليكونوا ضباطاً ، على أثر ما سمعه من أناشيدهم القومية ؛ فأرسلوا إلى ميادين القتال فى شتى الجهات ، وهلك معظمهم . وينتهى هذا الدور بإعلان الثورة العربية الكبرى رسمياً يوم ١٠ يونيو سنة ١٩١٦

على أن أقطاب الاتحاديين قرروا فى شهر يناير عام ١٩١٤ ، أى قبل وصول جمال باشا إلى سورية بسنة تقريباً اتخاذ تدابير متعددة للقضاء على الحركة العربية ، وتتريك العرب ، إلا أن تأثير هذه التدابير ظل محدوداً ، لأنها سلبية فى طبيعتها لا تتعدى المقاومة الخفية . ولقد تحول الحال حينما أعلنت الحرب العظمى عام ١٩١٤ ، وبسطت الأحكام العسكرية ، ونصبت المحاكم العرفية وأوقف البرلمان ، ووضعت المراقبة ، وعطلت الصحافة ، وانطلقت أيدى الاتحاديين فى البلاد العربية يفعلون ما يشاءون ، لا رقيب ولا حسيب . ويلوح لنا أن اختيار جمال باشا لمنصب القائد العام فى بلاد العرب — وهو المعروف بشدة الشكيمة ، والميل إلى سفك الدماء — وتحويله إلى سلطة لا حد لها ، ليس من قبيل الصدف ، بل هو نتيجة خطة أحكم الترك تدبيرها ، وأرادوا من ورائها الفتك برجال العرب ومفكريهم وشبابهم الذين أشربوا الروح القومية أملاً بأن يخرجوا منصورين من الحرب الكبرى ، وكانت الدلائل تدل فى سنيها الأولى على أن النصر سيكون فى جانبهم ، فينفذون سياسة التتريك ، ويقضون على كل نغمة عنصرية ، وينشئون امبراطورية طورانية تحيى مجد جنكيزخان وتيمورلنك ، وبقية عهد الذئب الأغبر

لا تلحق تبعة ما جرى فى ذلك العهد الدموى جمالاً وحده ، بل تشمل أقطاب الاتحاديين الذين كانوا مسيطرين على البلاد العثمانية وفى مقدمتهم أنور باشا وزير الحربية ووكيل القائد العام والدكتاتور الحقيقى ؛ فقد كان مصدر كل سلطة فى الدولة . وقد استمد نفوذه من سيطرته على الجيش ، ولو أراد لوضع حداً لتلك الأعمال ، ولكنه تغاضى عنها ومنح جمالاً كل ما طلبه من سلطة ، ووضع تحت تصرفه كل ما أراد من قوى . على أن سير الحوادث ، وقد جرت على غير ما يشتهونه جعل أنور يعدل عن تلك السياسة فيضيق اختصاص صاحبه ويسلبه ما كان منحه إياه ، يؤيد ذلك ما جرى حين النظر فى قضية خان الباشا بالشام والحكم على أحرار العرب ، فهو لم يجسر على إعدام الذين ألح بإصدار الحكم بإعدامهم بل أرسل الإعلام إلى ديوان التمييز العسكرى لفحصه عملاً بالأوامر الجديدة ، وقد سلبت منه اختصاصاته فعاد منقوضاً يقول إنه لا وجه لإقامة الدعوى على أحد لأن الجرم الذى حوكموا لأجله لم يدخل فى حيز التنفيذ

وينقسم العمل السياسى فى خلال هذا الدور إلى ثلاث حلقات :

(١) فالحلقة الأولى تبدأ من إعلان الحرب العظمى أى من شهر أغسطس عام ١٩١٤ حتى شهر أغسطس سنة ١٩١٥ وقد انضم العرب فى خلال هذه الفترة إلى الدولة قلباً وقالباً وأيدوها رغم ما كان بينهم وبين الاتحاديين ، ورغم ظهور دلائل تدل على سوء نية هؤلاء وترقبهم دوائر السوء بالعرب لأنهم أدركوا أن الاحتلال التركى أهون من الاحتلال الأجنبى مهما كان الحال وأقل شراً ، ولأنهم اعتقدوا أنهم لا يعدمون وسيلة للتفاهم مع أوليائها حينما تضع الحرب أوزارها ، وتنقشع غمامتها . وأطمع هذا العطف الاتحاديين كما غرهم ما كانوا ينعمون به من قوة ومن سلطان عظيم لم ينالوا مثله فى غابر أيامهم فقالوا إنها فرصة ثمينة لا يجود الدهر بمثلها ، فأقدموا على تصفية حساب الحركة العربية ، ونصبوا الميزان فى عاليه كما نصبوه من قبل فى أشقودرة يوم أرسلوا شوكت طورغود إلى ألبانيا فى سنة ١٩١١ للقضاء على الحركة الألبانية القومية فعجلت أعمالهم تلك فى إخراجهم من ألبانيا وطردهم من البلقان ، كما عجلت حركة عاليه على إخراجهم من بلاد العرب وطردهم منها .

ولا يسع المؤرخ النزيه إلا التنويه بإخلاص العرب للدولة

فى هذه الفترة ، وإذا اضطروا إلى الاتصال بأعدائها بعد ذلك وتعاونوا معهم على هدمها أو القضاء عليها ، فالذنب ذنب الترك أنفسهم قبل أن يكون ذنب العرب والتبعة لاحقة بهم وحدهم ، فلو جزوا العرب على إخلاصهم بإخلاص ، وصافحوا اليد الممتدة إليهم ، وتغاضوا عن كل حادث فى الماضى وهو ما جرى العرف أن يحدث فى الشدائد ، وأى شدة أعظم من تلك الحرب ، لما وقع ما وقع ولما كان ما كان

(ب) وتبدأ الحلقة الثانية بعد إعدام الرعيل الأول من شهداء العرب ومجاهديهم الأبطال ، فقد كشر (جمال) السفاح عن أنيابه وتنكر للعرب ، ولبس ثوب الأسد بعد ما نزع ثوبه الجميل ، وأخذ ينادى بأنه لا بد من عقاب الخونة ، والخونة فى عرفه واصطلاحه هم أحرار العرب ، والناهضون المجاهدون من رجالهم ، مع أنه دعا هؤلاء فى الخطبة التى خطبها فى النادى الشرقى شهر يناير عام ١٩١٥ إلى إحياء شهامة العرب ، وإعادة مجد العرب . ولا بد لنا من الاعتراف بأن العرب فوجئوا بأعمال جمال السفاح مفاجأة ، فتشتت رجال الجمعيات فى كل ناحيـة من أنحاء السلطنة العثمانية بعضهم منفى ، وبعضهم سجين ، وبعضهم مقتول ، وأرسـل آخرون إلى ميدان الصراع العالى ، وجند آخرون فى الجيش ، وفرّ غيرهم . أضف إلى هذا أن الصلة كانت مقطوعة بين الشام وبين العراق والحجاز من أقطار العرب فضلاً عن العالم الخارجى لصعوبة السفر والانتقال فى تلك الأيام العصيبة السوداء ، ولوجود مراقبة شديدة على المراسلات . والحقيقة أنه لم يبق خارج القفص فى تلك الأيام سوى عدد ضئيل جداً كان يقيم فى دمشق على حذر ووجل يترقب القبض عليه من ساعة إلى ساعة ، ويودع أهله وأسرته عند خروجه من المنزل فى الصباح لأنه قد لا يعود إليهم فى الظهيرة ، وكذلك يودعهم فى الأصيل لأنه ما كان واثقاً من الرجوع إليهم فى الغسق . فهـذه الفئة القليلة كان بقاؤها فى الفيحاء بفضل عوامل محلية خاصة ؛ فبعضها أقام بضمانة الوالى خليص بك والى الشام كالمرحوم الدكتور شهبندر ، وبعضها أقام فى جلق لأن الوحدة العسكرية المنسوب إليها كانت تقيم فيها كالدكتور أحمد قدرى ، ويسن الهاشمى وغيرهما ، تقول إن هذه الفئة هى التى اتصلت بالأمير فيصل عنـد مروره من دمشق فى غدوه إلى الآستانة ورواحه منها . وهى التى أطلعته على ما يقاسيه العرب من الترك ، فنقل شكايتها إلى رجال الدولة ، وعمل على تعديل هذه السياسة فى دمشق وفى الآستانة فلم يوفق . وهى التى نفخت فيه روح الثورة ، وكان معروفاً فى إعلان الحرب العظمى بمصافاة الترك قائلاً بعدم الخروج عليهم مهما كانت الظروف . وهى التى أقنعته بوجوب العمل لإنقاذ العرب من خطر محقق ؛ فضم جهوده إلى جهود أخيه الأمير عبد الله ، وكان متصلاً بالبريطانيين فتقررت الثورة ووضعت أسسها . ومما لا ريب فيه أنه كان للعامل المحلى والشخصى يد لا تنكر فى إعدادها وتكوينها

(ج) وتبدأ الحلقة الثالثة بمؤتمر الطائف فى خريف سنة ٩١٥ وقد قرر إعلان الثورة العربية ، وإعداد معداتها فى الداخل ، والاتصال برجال بريطانيا العظمى فى الخارج . وقد سارت الأمور على أفضل ما يرام ، فأقام الأمير علي فى المدينة يستميل القبائل الضاربة فى تلك البطاح ، وأخذ عليها العهود والمواثيق ، كما انصرف الأمير عبد الله من ناحية إلى جمع كلمة قبائل العرب فى الطائف وإعدادها لليوم العصيب

أما الأمير فيصل ، فكان يقيم فى دمشق يفتل خيوط الرأى ليجد مخرجاً يخرجه من معتقله ، فقد استبقاه الترك رهينة يهددون بها والده ، ويغلون يده عن كل عمل ، ولولا تخلصه منهم بكل لباقة وإفلاته من قبضتهم الحديدية لتأخر إعلان الثورة ولسارت الأمور فى غير هذا الاتجاه . وامتدت المكاتبات بين الحسين أمير الحجاز يومئذ والإنجليز سنتين وأشهراً ، وانجلت عن تلك العهود التى بذلها السر هنرى مكماهون للعرب باسم حكومة صاحب الجلالة البريطانية وبالإضافة إليها

(د) ويبدأ الدور الثالث بإعلان الثورة العربية الكبرى رسمياً ، ونزول العرب إلى ميدان الصراع والنضال وينتهى بإرسال الحسين أمير الحجاز يومئذ بلاغه الشهير إلى الدول العظمى يوم ٣٠ أغسطس عام ١٩١٨ مما سنفصله فى حديثنا المقبل فقد ضاق النطاق اليوم ، فإلى اللقاء ...

(دمشق) نسيب سعد الحسامي

مفاوضات الفتح العربي لمصر

للأستاذ السيد يعقوب بكر

[هذا البحث قسمناه قسمين : ففي القسم الأول حققنا هذه المفاوضات من الوجهة التاريخية ووصلنا إلى التسليم بصحة وقوع بعضها ونفي وقوع البعض الآخر . وفي القسم الثاني حاولنا أن نتلمس الروح المسيطرة على طرفي كل مفاوضة صح عندنا وقوعها]

القسم الأول

(١) المفاوضة الأولى

١ – ذكرها أبو المحاسن في النجوم الزاهرة (ج ١ ص ١٣ – ٢٤ ط دار الكتب) نقلاً عن ابن كثير في تاريخه المسمى بالبداية والنهاية . قال : « لما استكمل المسلمون فتح الشام ، بعث عمر بن الخطاب عمرو بن العاص إلى مصر . وزعم سيف : أنه بعثه بعد فتح بيت المقدس ، وأردفه بالزبير بن العوّام وفي صحبته بُسر بن أبي أرطاة وخارجة بن حذافة وعمير بن وهب الجمحي ، فاجتمعوا على باب مصر ، فلقيهم أبو مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف أبو مريام في أهل النيات ، بعثه المقوقس صاحب الإسكندرية لمنع بلادهم .

فلما تصافوا قال عمرو بن العاص : لا تعجلوا حتى نعذر إليكم . ليبرز إلى أبو مريم وأبو مريام راهبا هذه البلاد فبرزا إليه ، فقال لهما عمرو : أنتما راهبا هذه البلاد فاسمعا : إن الله بعث محمداً بالحق وأمره به وأمرنا به محمد ، وأدّى إلينا كلّ الذي أمر به ، ثم مضى وتركنا على الواضحة ، وكان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس ، فنحن ندعوكم إلى الإسلام ، فمن أجابنا فمثلنا ، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة . وقد أعلمنا أننا مفتتحوكم وأوصانا بكم حفظاً لرحمنا منكم ، وإن لكم إن أجبتمونا بذلك ذمة إلى ذمة ؛ ومما عهد إلينا أميرنا : « استوصوا بالقبطيين خيراً » فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصانا بالقبطيين خيراً لأن لهم ذمّة ورحما فقالوا : قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء ، معروفة شريفة كانت ابنة ملكنا وكانت من أهل منف والملك منهم ، فأديل عليهم أهل عين شمس فقتلوهم وسلبوهم ملكهم واغتربوا ، فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام . مرحباً به وأهلاً وأمناً حتى نرجع إليك .

فقال عمرو : إن مثلي لا يخدع ، ولكني أؤجلكما ثلاثاً ، لتنظرا ولتناظرا قومكما ، وإلا ناجزتكم ؛ قالا : زدنا ، فزادهم يوماً ؛ فقالا : زدنا ، فزادهم يوماً ؛ فرجعا إلى المقوقس ... »

فواضح من هذا الكلام أن هذه المفاوضة وقعت عند باب مصر بين عمرو بن العاص من جانب وأبي مريم جاثليق مصر والأسقف أبي مريام من الجانب الآخر

٢ – وذكرها ابن الأثير (ج ٢ ص ٤٤٠ – ٤٤١ ط ليدن) . قال : « فأخذ المسلمون باب اليون وساروا إلى مصر فلقيهم هناك أبو مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف بعثه المقوقس لمنع بلادهم . فلما نزل بهم عمرو قاتلوه فأرسل إليهم لا تعجلونا حتى نعذر إليكم ؛ وليبرز إلى أبو مريم وأبو مريام فكفوا وخرجا إليه فدعاهما إلى الإسلام أو الجزية وأخبرهما بوصية النبي (ص) بأهل مصر بسبب هاجر أم إسماعيل عليه السلام ؛ فقالوا : قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء . آمنّا حتى نرجع إليك . فقال عمرو مثلي لا يخدع ؛ ولكني أؤجلكما ثلاثاً لتنظرا وأمر بمناهدتهم »

فواضح من هذا أن ابن الأثير متفق مع ابن كثير في مكان المفاوضة وطرفيها

٣ – وذكرها ابن خلدون (ج ٢ ص ١١٤ – ١١٥ ط بولاق) . قال : « ولما فتح عمر بيت المقدس استأذنه عمرو ابن العاص في فتح مصر فأغزاه ، ثم أتبعه الزبير بن العوام ، فساروا سنة عشرين أو إحدى أو اثنين أو خمس فافتتحوا باب اليون ثم ساروا في قرى الريف إلى مصر . ولقيهم الجاثليق أبو مريم والأسقف قد بعثه المقوقس . وجاء أبو مريم إلى عمرو فعرض الجزية والمنع وأخبره بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم وأجلهم ثلاثاً ورجعوا إلى المقوقس »

فواضح من هذا أن ابن خلدون متفق مع ابن كثير وابن الأثير

٤ — وذكرها الطبرى (مجلد ٥ ص ٢٥٨٤ — ٢٥٨٩ ط ليدن) . قال : « خرج عمرو بن العاصى إلى مصر بعد ما رجع عمر إلى المدينة حتى انتهى إلى باب اليون واتبعه الزبير فاجتمعا فلقيهم هنالك أبو مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف فى أهل النيات بعثه المقوقس لمنع بلادهم . فلما نزل بهم عمرو قاتلوه فأرسل إليهم : لا تعجلونا لنُعذر إليكم وترون رأيكم بعد؛ فكفوا أصحابهم وأرسل إليهم عمرو أنى بارز فليبرز إلى أبو مريم وأبو مريام؛ فأجابوه إلى ذلك وآمن بعضهم بعضاً . فقال لهما عمرو : أنتما راهبا هذه البلدة فاسمعا ... » ويذكر بقية الحديث بما يوافق ما ذكره ابن كثير تماماً

فواضح من هذا أن الطبرى متفق مع المؤرخين الثلاثة فى طرفى المفاوضة ، ولكنه يختلف عنهما فى مكان المفاوضة ، فيقول إنها كانت عند باب اليون ويقولون إنها كانت عند مصر .

نترك الآن المؤرخين العرب وننتقل إلى كتاب حنا النقيوسى المؤرخ القبطى المشهور فلا نجد فيه ذكراً لهذه المفاوضة

ويقول الأستاذ بتلر فى كتابه « فتح العرب لمصر » (ص ١٩٠ من الترجمة العربية) بصدد هذه المفاوضة : « والظاهر أن قصة بعث المقوقس باثنين من الأساقفة وهما أبو مريام أو (أبو مرتام) وأبو مريم لمفاوضة العرب لم تكن سوى قصة بعث بها الوهم . فلم يكن بين الأساقفة أحد بتلك الأسماء ، ولعل تلك القصة لم تنشأ إلا من الخطأ العظيم الذى وقع فيه مؤرخو العرب عند ما قرأوا أخبار هذه الحوادث ، وقد اختلطت فيها حوادث التاريخ بالخرافات اختلاطاً فاحشاً ، ومسخها النساخون عند نقلهم منها منذ لم يتحروا فيها الدقة . ولكننا مع ذلك نستطيع أن نقول إنه قد جاءت جماعة عليها أحد الأساقفة وإنهم فاوضوا عمراً فى ذلك الوقت »

والأستاذ بتلر يقول هذا القول أثناء حديثه عن سير العرب الفاتحين إلى بلبيس ، مما يفهم أنه يرى أن هذه المفاوضة كانت فى بلبيس لا فى مصر كما يقول ابن كثير وابن الأثير وابن خلدون. ثم هو يرى بعد ذلك أنها لم تكن بين عمرو من جانب وأبى مريم ومعه أبو مريام من الجانب الآخر؛ بل كانت بين عمرو وجماعة عليها أحد الأساقفة

ونحن لا نملك رفض مايقوله الأستاذ بتلر ؛ فنحن لا نملك رفض قوله بحصول المفاوضة فى بلبيس ، لأن اتفاق ابن كثير وابن الأثير وابن خلدون على أنها حصلت عند مصر وتفرّد الطبرى بأنها حصلت عند حصن بابليون مما لا يمكن التعويل عليه لما عرفناه ولمسناه من خلط مؤرخى العرب فى كلامهم عن حوادث الفتح . أضف إلى ذلك أن جعل المفاوضة عند بلبيس أكثر ملاءمة لسير حوادث الفتح من جعلها عند مصر . والقارئ لحوادث الفتح يدرك هذا تمام الإدراك . ونحن بالطبع ليس لنا أن نطالب الأستاذ بتلر بالمصدر الذى اعتمد عليه فى القول بأن المفاوضة حصلت فى بلبيس، وذلك لأنه لم يعتمد فى ذلك على مصدر ما وإنما قال به توفيقاً منه بين حوادث الفتح العربى التى تعرضت لشىء كثير من الخلط

نذر مقبــول

للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد

أرأيتِ حين نذرتِ ؟ ودعا «النوى» فدعوت ؟
من ذا الذى لبّاك ؟ من ذا أجاب مُناك ؟
قدّيسةٌ عطفت على المكنو ن من نجــــواك
ووعدتهـــــا فوفيتِ

* * *

قدّيسة سمعت لنا وسعت لتجمع بيننا
من ذا يعيب هواك ؟ من ذا إذن يلحاك ؟
والعــذر عذر صبابتى والحق حــــق صباك
كذبوا إذن وصدقت !

* * *

بالشمع كم أغريتِها أتراك أنت خدعتها ؟ !
كلا . وما أقـــــواك فى خــدعة وشباك !
فالنــور لب غذائها والنــور صفو رضاك
شُــــــغفتْ به وشُغفت

عباس محمود العقاد

والتشويه في معظم المصادر العربية وغير العربية

هذا من ناحية مكان المفاوضة ، وأما من ناحية طرفيها فنحن لا نستطيع رفض قوله في ذلك أيضاً ، لأننا لا نملك على ذلك الرفض قدرة علمية ، ولا سيما أنه عاد في الملحق الثالث من ملاحق كتابه فأكد قوله وقوّاه . قال (ص ٤٥٠ — ٤٥٢) :

« (٢) أبو مريم . وصف الأستاذ (لين بول) هذا الشخص بأنه «جاثليق» مصر ، وأنه انضم إلى جيش عمرو . ولفظ جاثليق لامعنى له إلا (بطريق) ، وأول من ذكره من مراجعنا الطبرى ، فقد جعلته معلوماته الفارسية يذكر ذلك اللفظ على أنه اسم كبير أساقفة مذاهب النسطوريين والأرمن . ويكثر ذكره في كتب سبيوس وسواه ، ويعرفه دكانج Du Cange حق المعرفة . والحقيقة أن الطبرى نفسه يفسر ذلك اللفظ بأنه كبير أساقفة النصارى ، ولكنه يقول بعد ذلك عبارة محيرة وهى أن اسمه كان «ابن مريم» . ويمكننا أن نسلم بأنه قد كان في مصر رئيسان للأساقفة أو بطريقان في وقت الفتح وهما قيرس وبنيامين ؛ ونزيد على ذلك أنه قد يجوز أن بطريقاً ثالثاً كان موجوداً عند ذلك وهو بطريق مجهول (للجايانيين) ، ولكن ذلك غير مهم فيما نحن فيه . وابن مريم لا يمكن أن يكون هو (قيرس) ؛ ولكنه قد يمكن أن يكون المقصود به (بنيامين) . ونرجو أن نستطيع البرهان على أن ذلك هو المقصود ؛ فإنه في مدة ابن الأثير كان الاسم قد حرف إلى (أبو ميامين) ، في حين أن أبا المحاسن يذكر — وهذا طبعاً صحيح — أن الأسقف القبطى في الإسكندرية كان اسمه بنيامين . ويذكر السيوطى أن الأسقف القبطى هو (أبو ميامين) وليس على المرء إلا أن يقرن هـذه الحقائق بعضها إلى بعض فيرى لأول نظرة أن من أسهل الأمور تحريف اسم (أبا بنيامين) إلى (أبو ميامين) ثم إلى (أبو مريم) ، في حين أن (ابن مريم) يجوز أن يكون تحريفاً للاسم بنيامين ؛ فإن كتاب العرب كانوا يعرفون أن اسم مريم اسم يجله النصارى إجلالاً عظيماً ، فأخطأوا في لفظ (أبا) فظنوا أنه اللفظ العربى (أبو) ، في حين أنه نزع الجزء الأول من (بنيامين) وهو (بن) وخُـلط باللفظ العربى (ابن) ونشأ من ذلك الخلط أسماء عجيبة زادها تحريف النساخ خطأ فذهبوا إلى تسمية الأسقف باسم (أبو مريم) و(ابن مريم) .

ونستطيع الآن أن نستبعد اسم (أبو مريم) ونحن واثقون من أن ذلك الاسم لم يكن ، وكذلك أسماء (أبو مرتم) و (ابن مريم) و (أبو ميامين) ؛ وأن نجعل مكان هذه الصور الغريبة اسم (بنيامين) الذى كان كبير أساقفة القبط في الإسكندرية . غير أنه لا يكفى أن نستبعد هذه الخيالات فإنا إذا سلمنا أن الشخص التاريخى المقصود هو بنيامين فإنه من المحال أن تقبل ما قيل عنه من أنه اشترك مع عمرو أى اشتراك فيما ذكر عنـه ، فلم يحاربه ولم يفاوضه . وأما ما ذكره الطبرى ومن اتبعه كابن الأثير عن بنيامين فإنه قول سخيف . فقد جعلوه قائداً حربيًّا تحت حكم المقوقس . وقد سعى الطبرى إلى جعل خبره مقبولاً لا تناقض فيه لجعل المقوقس أميراً للقبط ؛ ولكن كل الأدلة المستمدة من المؤرخين المصريين تدل على أن هذين الرأيين غير صحيحين (وكان الطبرى غريباً عن مصر ، ولكنه زارها) . فالمؤرخون المصريون مجمعون على أن بنيامين بقى مختفياً فى الصعيد مدة عشر سنوات قبل الفتح العربى ، وثلاث سنوات فى مدة الفتح . ولو لم يكن لدينا غير ما كتبه ساورس «حياة بنيامين» لكان ذلك كافياً للبت فى هذا الأمر . غير أن كل المؤرخين من حنا النقيوسى إلى ما بعده متفقون في هذا الرأى . فكيف إذن نستطيع أن ندرك علة ما يعزوه مؤرخو العرب إلى بنيامين من الاشتراك فى الأمور عند الفتح ؟ والتعليل هو ما يلى : أنهم وجدوا فى الأخبار القديمة أو الروايات السابقة أن زعيم الدافعين والرئيس الذى فاوض فى شروط الصلح مع الفاتحين هو كبير أساقفة الإسكندرية ، ووجدوا بعد الفتح وفى التاريخ القبطى أن كبير الأساقفة في الإسكندرية المعترف به هو بنيامين ؛ وفوق ذلك لقد كان بنيامين هو الذى جاء إلى عمرو وصالحه فى وقت الفتح الثانى للاسكندرية عند ثورة منويل ؛ فاختلط هذا الخبر بالصلح الذى كان مع قيرس ؛ وعلى ذلك اختلط الشخصان وعُزى إلى بنيامين ما فعله قيرس عند الفتح »

فبقى علينا إذن أن نأخذ رأى الأستاذ بتلر فى هذه المفاوضة

(للبحث بقية) السيد يعقوب بكر

مشاركة الأدب الانجليزى في الدراسات العربية

نقلا عن « برنارد لويس »(*)

للأستاذ عبد الوهاب الأمين

١ — العصور الوسطى

كان رأى الباحثين مجمعاً منذ مدة على أن أولى الاتصالات الثقافية المهمة بين الإسلام والفرنك كانت نتيجة للحروب الصليبية . وفى الحق أن الحروب الصليبية هى الفرصة الأولى التى اجتمع فيها الشرق العربى بالغرب المسيحى اجتماعاً قريباً ، وحصلت من جراء ذلك مبادلات ثقافية ؛ غير أن الدراسات التاريخية المتأخرة أبانت أن هذه المبادلات كانت محدودة من ناحيتى المجال والمفعول ؛ وهو أمر يجب أن يكون منتظراً بسبب سيطرة الناحية العسكرية في ذلك الدور . ولقد وصل الفكر العربى عن طريق آخر إلى الغرب بصورة عامة ، وإلى انجلترا بصورة خاصة

لقد دخل العرب المنتصرون إلى أوربا بعد غزوهم شمال أفريقية ، واستعمروا منطقتين فى حوض البحر الأبيض المتوسط لمدة طويلة هما : اسبانيا وصقلية ، وأنشأوا لهم مدنية بالغة فى التقدم ما لم يكن يوازيه أى تقدم آخر فى الأراضى المسيحية فى ذلك الحين . ذلك التقدم الذى لم يعجز عن التأثير على معاصريهم من المسيحيين ، حتى أنه بعد أن استعاد المسيحيون تلك البلاد ظلت التعاليم العربية مزدهرة مدة طويلة . وكان الملوك المسيحيون يتكلمون العربية ، ويؤازرون العلماء العرب ، وبقيت الثقافة العربية العالية نافذة فى بلاد الفرنك ، وأصبح المسيحيون الذين يتكلمون العربية فى أسبانيا واسطة مهمة لبسط ذلك النفوذ ، كما أن اليهود الذين ينطقون بالعربية فى أسبانيا وصقلية — والذين كانت لهم لغة عامة هى العبرية — مع مشاركيهم فى الدين من الفرنك ، كانت لهم يد طولى فى نشر الثقافة العربية فى الغرب .

وينبغى أن نشير فى هذا المقام بصفة خاصة إلى الفيلسوف الأسبانى اليهودى « أبراهام بن عزرا » من مدينة طليطلة الذى زار لندن فى سنتى ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، واشتغل بالتعليم هناك مدة ؛ كما أن الإنجليزى « توماس براون » ولى القضاء فى صقلية ، ويذكره العرب فى كتاباتهم باسم « القائد برون »

وفى القرن الثانى عشر أخذ العلماء يفدون من الشمال ، وعلى الأخص من انجلترا ، لزيارة الجامعات العربية فى أسبانيا فى سبيل تحصيل العلم ، وكان أول كبير من هؤلاء هو الإنجليزى «أديلارد» من مدينة (باث) أحد رواد الثقافة العربية فى الغرب

وقد ساح « أديلارد » فى الربع الأول من القرن الثانى عشر فى إسبانيا وسورية ودرس اللغة والعلوم العربية ، وترجم كثيراً من الكتب العربية إلى اللاتينية لفائدة معاصريه من المسيحيين ، واشتغل فى عودته ترجماناً للملك هنرى الثانى — ولم يصر بعد ملكاً — وكان قد أهدى إليه أحد كتبه أيضاً . وبتألف أهم كتبه وهو « القضايا الطبيعية » من حوار بينه وبين قريب له درس فى الجامعات الفرنكية بينما درس « أديلارد » بين العرب . وعلى ذلك فإن الجدل الذى يقوم بين الاثنين يتطرق إلى المقابلة بين الدراستين ، وقد قال فى مقدمة كتابه هذا : « إنى سأدافع عن قضية العرب ، لا عن قضيتى » وشدد فى نهاية كتابه على تفوق الطريقة العربية كما ساعد بنفوذه على نشرها فى الغرب ، فترجم عدداً من الكتب العربية فى علم الهيئة والرياضيات وبذلك مد فى نشر هذه العلوم فى أوربا .

وقد اقتفى أثر « أديلارد » كثيرون من الإنجليز . فقد درس « روبرت » — وهو من أهالى جستر — فى القرن الثانى عشر أيضاً ، الرياضيات وترجم الكتب العربية . وهناك شخصية طريفة هى شخصية « دانيل مورلى » الذى يحدثنا عن نفسه أنه كان برماً بالجامعات الفرنكية فذهب إلى إسبانيا « فى طلب أحكم الفلاسفة على وجه الأرض » على حد تعبيره ، وقد عاد إلى انجلترا بمجموعة كبيرة من الكتب التى لقيت جمهرة كبيرة من القراء . « وميخائيل سكوت » الذى درس

(*) هو محاضر فى التاريخ الاسلامى فى فرع الدراسات الاسلامية والافريقية فى جامعة لندن . وقد ألقى هذا البحث بشكل أحاديث فى الاذاعة البريطانية

— في القرن الثالث عشر — فى صقلية وأتقن اللغتين العربية والعبرية، وترجم كتب أرسطاليس من اللغة العربية ، وكان كثير منها قد تلقاه الغرب لأول مرة ، كما أنه ترجم التعقيبات العربية على فلسفة أرسطاليس، وألف عدة كتب فى علم التنجيم والكيمياء

ولقد كان عمل هؤلاء وغيرهم من الإنجليز المغامرين الذين زاروا بلاد العرب كبير الفائدة من الناحية الثقافية ، فبفضل أعمالهم ذاعت آثار العرب الفلسفية والعلمية العظيمة فى انجلترا والغرب ، وتقدمت الثقافة الأوربية خطوة كبيرة إلى الأمام . وكان التأثير الذى تركته كتبهم المترجمة والموضوعة عظيما . وفى وسعنا أن نضع الفيلسوف الإنجليزى العظيم « روجر باكون » فى عداد الذين تأثروا تأثراً عميقاً بالثقافة العربية ، وكذلك الشاعران « شوصر » و « ليد- كيت » . ومن المهم ذكره فى هذا المجال أن أول كتاب طبع فى انجلترا وهو كتاب « أمالى وأقوال الفلاسفة » (سنة ١٤٧٧) وقد وضع على أساس كتاب عربى هو كتاب : « مختار الحكم ومحاسن الكلم » الذى صنفه فى سنة ١٠٥٣ الأمير المصرى « مبشر بن فاتك » ، ولم يطبع النص العربى ، ولكن هناك نسخة خطية منه لا تزال موجودة فى هولاندة ، وهو مجموعة أمثال وأقوال حكمية ، وكان كثير الشيوع مدة من الزمن فى الشرق وقد ترجم إلى عدة لغات أوربية

إن الدَّين الذى تدين به أوربا فى العصور الوسطى لمعاصريها من العرب ومترجميهم لهو دَين مضاعف ، ففى الدرجة الأولى كان العرب هم الذين نشروا القسم الأكبر من ميراث الفكر والعلم الإغريقى الذى كان الغرب قد أضاعه ، واحتفظ به العرب وأذاعوه؛ وفى الدرجة الثانية أن أوربا قد تعلمت من العرب طريقة جديدة فى الدراسة ، تلك الطريقة التى وضعت العقل فوق السلطة ، ودافعت عن البحث العلمى الحر ، وقد كان هذان الدرسان هما اللذين لعبا أكبر دور فى إعطاء نهاية للعصور الوسطى ، وبعث النهضة « الرينسانس » وولادة أوربا الجديدة ، كما أن العلماء الإنجليز ساهموا بدور كبير فى نقل هذه الدروس . وإن من مآسى التاريخ الآن أن العرب ينسون فى هذا الوقت الأشياء التى علموها هم لأوربا ، وأن يقوموا بدراستها مرة أخرى بعد مضى

عدة عصور

ونود أن نختم هذا الفصل بالرجوع إلى أقوال « إديلارد » نفسه فى حديثه مع قريبه عن الطريقة التى تعلمها فى أسبانيا ؛ ورأيه هذا قد سجل منذ ثمانمائة سنة :

« إننى ، والعقل دليلى ، قد تعلمت أمراً واحداً من أساتذتى العرب . أما أنت فعلى خلاف ذلك قد تلجمت بلجام من المظهر الخارجى للسلطة – وبماذا نصف السلطة إلا بأنها لجام ؟ – على شاكلة الحيوانات المتوحشة ، فإنها تساق إلى حيث يشاء المرء بدون أن ترى لماذا وإلى أين تساق ، بل تتبع المِقْود الذى توقف به ، وكذلك الكثير منكم قد رُبطوا بقيود وسلاسل من التسليم المنحط ، وسيقوا إلى الخطر بسطوة الكتاب ... لقد منح العقل للأفراد لكى يكون هو الحكم الرئيسى للتفريق بين الحق والباطل ... فيجب أن نسعى بداءة ذى بدء إلى البحث عن العقل ، فمتى وجد قُبلت حينئذ السلطة إذا أريد إضافتها إليه ، فإن السلطة فى حد ذاتها لا يمكن أن توحى بالثقة إلى الحكيم ، ولا ينبغى لها أن تستعمل لهذه الغاية »

والذين يعرفون كتابات العرب سيؤيدون رأى «إديلارد» هذا على الفور ، أما الذين يعرفون علم الغرب فسيدركون مغزاه حالاً

عبد الوهاب الأمين

أرواح وأشباح

للأستاذ خليل هنداوى

لقد صدق حدسى ! وها هى برهة تمر كرجع الطرف تزورنا فيها مواكب جديدة لهذا الشاعر المبدع من « أرواحه وأشباحه » والحق أن هذه القصيدة الجديدة تعد بذاتها فاتحة « للشعر العربى الحديث » الذى آن له أن يخلع تلك الثياب الرثة التى بالغنا فى ترقيعها وترويقها ، حتى نصلت صبغتها ، وبليت جدتها !

وما يزيد فى قيمة هذه القصيدة أنها أول قصيدة تلدها مصر من الشعر الصحيح ، ولا نستطيع القول أنها مبتكرة بأسلوبها وغرضها ، لأن بعض السوريين سبقوا إلى هذا النوع من القصائد الواحدة التى يختلف وزنها وقافيتها ، ويبقى غرضها واحداً . وأعرف من هـذه القصائد (المواكب) لجبران خليل جبران ، و (بساط الريح) لفوزى المعلوف ، وعبقر (لشفيق المعلوف) و (إرم ذات العماد) لنسيب عريضة ، ولكن قصيدة شاعرنا (الملاح التائه) قصيدة وحدها بمعزاها وغايتها ، لأن صاحبها اتجه بها شطر الفن الخالص ، وجردها من أى غرض يرمى بها إلى الابتذال ، اعتقاداً منه بنظرية « الفن الخالص للفن الخالص » بينما نجد قصيدة « المواكب » تزحف فى جو ثقيل مرهق بالفلسفة الشاكة الحائرة ، وقصيدة (على بساط الريح) ترمى إلى غرض فلسفى آخرى توجهه العاطفة ، وقصيدة «عبقر» تكاد تكون أكثر تجرداً للفن ؛ أما قصيدة (إرم ذات العماد) فهى أشواق صوفية هائمة على رمال الوجد والحنين . وأصحاب هـذه القصائد جميعها ثائرون على ماضى الشعر العربى وأسلوبه الضيق الموروث ، ولذلك تجردوا من قوالبه ، وانطلقوا من غاياته ، وانقادوا إلى عوالمهم الذاتية المجردة ، ولكل غايات استقبلها وبلغها بمقدار ما هامت نفسه ، وسما فنه . ولعل أبرز ما فى « هذه القصائد » هـذه الوحدة فى الغاية ، تنطلق معها من فاتحتها إلى خاتمتها . وإنا لنجد هذا النوع غريباً فى أدبنا ، لأن الأدب العربى لم يستجل مثله ، فى حين أن الآداب الغربية طافحة بهذا النوع الذى يدل على امتداد الفن ، وبعد الغرض ، وسمو التحليق. وهنالك دواوين قائمة بنفسها لتوحى إليك بفكرة واحدة ، على طرائق مختلفة ، كهذا الذى فعله الشاعر الفرنسى – فرناند جريك – فى ديوانه جمال الحياة ، فجمال الحيـاة فكرة تفاؤلية تسيطر على نفس الشاعر ، والشاعر فى كل مظهر من مظاهر الكون يتوسم هذا الجمال ، ويتغنى به ، ومهما يكن من شىء ، فإن هذا يدلنا على أن الشاعر الحقيقى يعتنق رسالة أو فكرة يجمعها من مزاجه الخاص يحاول أن يبثها وينشرها

* * *

كانت هذه القصيدة بيدى فتناولها صديق لى أديب فما لبث أن أبدى نفوره منها واستنكاره لهذا الضرب من الشعر لأنه خال — بحسب اعتقاده — من الغاية والغرض ؛ وما كنت بلوام لمثل هذا الصديق على اعتقاده ، لأن المدرسة الشعرية العتيقة لا تزال على اعتقادها فى أن الشعر خاضع للغاية ينزع إلى الحكمة أو إلى القومية ، أو . . . أما هذه القصيدة فما نزعتها ؟ وما غايتها ؟ إننا نحب أن نعتق شعرنا من هذه التقاليد ، ونرفعه من هذه الأغراض الدانية ، لنتوجه به شطر الفن الخالص . إذ أن الشعر العالى لا يتجلى فى هذه العواصف الصافرة التى تؤز فوق الرؤوس ، ولا فى هذه الأصباغ الكثيفة غير المتناسقة ؛ وإنما الشعر هذه اللمحات الفنية الهادئة والرعشات الوديعة التى تذكرك برعشة الطبيعة حين يقظتها . ومن عجب الدهر أننا نتخطى تعاليم المدرسة القديمة ، ونلمس نقائصها ، ونفنى أكثر شعرها ، ثم نرى من لا يزال يتحمس لها ، ويناضل من أجلها

الآن نستطيع القول — إزاء هذه المقطوعة — أننا إزاء قصيدة شعرية بلغت من السمو والفن والدقة ما لم تعرفه قصيدة عربية من قبل . ولكى يستطيع الشاعر أن يبث لمحاته الفنية لم يجد إلا جواً يونانيًا . والعلة فى ذلك أن الجو العربى نفسه محدود الشاعرية ، محصور الخيال ، ليس فيه هذه الوثبات التى توحى للشاعر المطلق أن يحلق فى جو مطلق ، فليس فى هذا الاتجاه نفسه ما يعيب الشاعر أو القصيدة ، لأن الجو اليونانى — فى اعتقادى — برىء من كل غرض ، يملكه الفن وحده .

ولا يجد الأدباء الغربيون حرجاً فى الرجوع إلى هذه المملكة الفنية بشوارد الفن ، على رسوخهم وغناهم . ولأدبائنا الحق فى تفهم الأدب اليونانى والفن اليونانى . بعد أن درس العقل العربى العقل اليونانى ، كانت بينهما صلات متينة ، وجولات مشبعة بروح الصداقة . والفن اليونانى – على اعتقادى – أشد ضرورة للعرب من الفلسفة اليونانية

أشخاص هذه القطعة أشخاص يونانيون لهم محلهم فى الفن اليونانى والجمال اليونانى . وقد أحسن المؤلف صنعاً فى الإعلان عن كل شخص فى مقدمته . ومن هؤلاء « سافو » الشاعرة الإغريقية ، وتاييس الراقصة الأثينية ، وبلتيس صاحبة الشاعر الإفرنسى « بيرلويس » . أما الحديث فيدور حول روح شاعر يبعث بعثاً جديداً يزف إلى الأرض كالشبح العابر . أو الوهم مثله الخاطر . تعرفه إحدى الحوريات أو الأرواح – تاييس – وتقول لسافو إنه (فتى تملأ ألحانه الأرض غداً) . وبلتيس يؤلمها أن يمر متكبراً ، وقد أصابته لوثة أهل الفنون فليمض شقياً ! أما تاييس فهى أكثر إشفاقاً عليه . لا تلومه لأنه (كف عينيه برق الحياة) فتحاول بيليتس أن تثير حقد صاحبتها فتذكر لها ما صنع أترابه الشعراء من قبل يوم أغووا حواء ولدات حواء . والمرأة – دائماً – حديث الفن !

أنالته أجمل أزهارها ، فأهدى لها شر أزهاره !

ولعل هذه الأزهار تذكرنا بأزهار بودلير !

وهنا تستشهد بيلتيس بقصيدة (الحية الخالدة) التى قدم لها صديقنا الأستاذ الكيالى بأن المرأة هى الحية الخالدة التى يشتهيها الفنانون والشعراء رغم لدغاتها . وفى هذه القصيدة يهبط الشاعر بمعشوقته من المنزلة العالية التى تصورها فيها إلى المنزلة الدانية التى تضج بها الشهوة الجائعة ؛ وتصبح فيه المرأة كتلة من لحم يشير الدماء ، بعد أن كانت جمالاً صور من نقاء – فانحدرت المرأة وانحدر بانحدارها الرجل لأنه أصبح شيئاً ككل الرجال ، وأصبحت هى شيئاً ككل النساء

أما بيليتس فلا تحب أن تعتقد بخطيئة المرأة ؛ لأن الرجال ...

وكم فى الرجال سعار الوحوش   إذا لمسوا الجثة الدافئة . . .

أما المرأة ... !

ألم ينسم الخلد من عطرها   ألم يعبد الحسن فى زهرها
ألم يقبس النور من فجرها   ألم يسرق الفن من سحرها
شفت غلة الفن حتى ارتوى   وإن دنس الفن من طهرها
وهامت على ظمأ روحها   وكم ملأوا الكأس من خمرها

والمرأة تبقى بعد هذا أحجية الفن .

« خطيئتها قصة الملهمين »   « وإغراؤها الفرح المفتقد »
لقد قربت جسداً عارياً   وقلباً يضن بأسراره

ثم تنتقل هذه الغوانى من حديث الشعر إلى الفن الممثل فى – تمثال جميل – فلا تجد سافو الفنان أعلى روحاً من الشاعر لأنه كمثله .

غداً يستغل غرام الحسان   سبيلاً إلى الشهرة الذائعة
يصيب بهن خلود اسمه   وهن قرابينه الضائعة

ولكن بيليتس تريد أن تنتقم لنفسها ولأترابها ، وتطلب النزول إلى الأرض .

لنشرب من دم هذا الفتى   مصفى الرحيق بأكوابنا
ونجعل من حشرجات الرجال   تحية شاد لأنخابنا

ولكن تاييس تدرك أن الجمال والحب يضيع عالمهما بدون الشعراء والفنانين فتقول :

إذا خلت الأرض من طيرهم   فمن ذا يحيى الجمال القسيم ؟

فتغضب بيليتس وتعود إلى حبها المعروف ، كما أوحته (أغانى بيليتس)[1] ، هذا الحب الذى ليس به حاجة للرجال !!

وهنا تستعر المشادة بين تاييس وبيليتس ، هذه تميل إلى كل هوى بين اثنين ، وتلك تمثل هوى المرأة التعلق بالرجل ، وترى هذا الهوى ضرورة لا مناص منها لحياة الفنون . والجمال وحده هو الذى يهذب قلب الرجل ، وينيم فيه الشرس المستخف !

وبعد محاورة تختلف ألحانها بين هؤلاء ، يعود الإله – هرميس – الذى ترك الشاعر على أفق الأرض ، فيرى حورياته

(1) راجع هذه الأغانى فى مجلة الصباح الدمشقية مترجمة بقلم الكاتب

في غضب وثورة ، فيصف لهن هـذا الفنان الذى ساء أمره عندهن ، وفي وصفه هذا أروع ما وصل إليه فنان وهو يتحدث عن الفن ...

الفنان عنده ...

يسف إلى حيث لا ينتهى ويسمو إلى قة لا ترام
ويُسقى بـكأس إلـهية مرنقة بالهوى والأنام

***

هو المرح الشارد المستهام شرود الفراشة عند المساء

ولعلك تلمس معى هذه القطعة المزدحمة باللمحة الفنية التى تظن أنها لا تنزل إلا على الشعراء الملهمين

أرته السماء أعاجيبـها وروته من كل فن بديع
فضن بلألاء هـذا الجمال وخاف على كنزه أن يضيع
أبى أن يبدده ناظراه فأطبق جفنيه ما يستطيع
فإن شارف الأرض نادت به ففتح عيناً كمين الربيع

أتستطيع أن تحدد لى عين الربيع هـذه ؟ ألست معى هذه الدنيا من الرفيف والألوان والأعاجيب ؟

ولا يزال — هرميس — يصف لحورياته هذا الفنان حتى يستل من أفئدتهن كل سخيمة ويعدن راضيات عنه ، مؤنسات بفنه ، مغضيات عن عثراته . لأن عثرات الفنان بشائر للفن ، والفنان نفسه يعبد المرأة — على ما تحمله إليه — لأنه كما يقول :

وكانت حياتى محض اتباع فصارت طرائف من فنها
وكان شبابى صمت القفار ورجع الهواتف من جنها
فمادت ليالى الصبا والهوى أرق القاطع فى لحنهـا
وأفرغت بؤسى فى حضنها وأترعت كأسى من دنها

وهكذا تنتهى القطعة برحيل الشاعر ، بعد أن ترك فى حورياته نظرات العطف والابتسام

هذه هى القصيدة التى أهداها الشاعر خالصة لوجه الفن ، سلسة التعبير ، لينة القوافى ، هائمة الألوان ، ولن يغنى عن قراءتها شىء من هذا الموجز المشوه الذى ذكرته ، لأن القطعة الفنية لا تنقل

والذين يتـذوقون الشعر المجرد ، ومحبون الفن المجرد ، سيستمعون فى هذه القطعة خير لحن يجاوب ألحانهم ، ويتذوقون منها أصفى سلسال يروى ظمأهم

حقاً إن هذه القصيدة طليعة تلك المواكب الجديدة الهائمة فى تيه المرح والعذاب والحب ، وستتلو هذه الأرواح أرواح ، وهذه الأشباح أشباح ، ما دامت هنالك قيثارة صافية النغم ، ومخيلة مجردة الخيال ، هى قيثارة ومخيلة ملاحنا التائه.

(حلب) — [الحديث] **خليل هنداوي**

٤٠ – المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الثالث عشر – الأخلاق

كثيراً ما يقسم المسلم بالله وبالرسول وبرأس مخاطبه ولحيته. وعند ما يُخبَر أحدٌ بخبر يثير دهشته وعدم تصديقه يصيح: والله؟ فيجيبه الآخر: والله. وكما أن العادة أن يبسمل المسلم قبل الطعام والشراب، يفعل ذلك أيضاً عند ما يتناول دواء أو يكتب شيئاً أو يبدأ مشروعاً مهماً، ثم يحمد الله بعد البسملة

وعند ما يتعاقد اثنان يتلوان الفاتحة معاً. والعادة عند ما يتجادل البعض في عمل أو رأى أن يصيح أحد الطرفين أو آخر يود فض النزاع أو تهدئة المتخاصمين: «الصلاة على النبي»، أو «صلوا على النبي» فيقولان بصوت منخفض: «اللهم صل عليه» ثم يستأنفان المجادلة ولكن باعتدال على العموم.

كثيراً ما يُسمع في المجتمع المصري العبارات الدينية تعترض الحديث في الأمور الحقيرة والخليعة أيضاً. وقد يكون ذلك أحياناً بطريقة تحمل من يجهل أخلاق هذا الشعب على أن يظنه هزؤا بالدين. ويكرر المصريون اسم الله في الكثير من أغانيهم الماجنة من غير قصد للاهانة طبعاً، وإنما يفعلون ذلك لاعتيادهم إقحامَ اسم الله في كل ما يدعو إلى الدهشة أو العجب، فيعبر الماجن عن انفعاله بالجمال عند رؤيته فتاة فاتنة بقوله أثناء كلامه الفاحش:

«تبارك الذي خلقك يا بدر»

وسأورد المقطوعة الأخيرة من أحد الموشحات مثالاً للطريقة الغريبة التي يختلط بها الفجور والدين في الأدب العامي المصري:

قبلني الرشيق بعد البعد والاحتجاب. فقبلت ثناياه وخده، ومن الكأس هو بيده، وفاح المسك والعنبر من محبوب أرشق قواماً من غصن البان. وبسط سريراً سندسياً، وقضيت الوقت في سعادة متصلة. لقد استعبدني ظبي تركي

والآن أستغفر الله ربي من كل خطاياي ومن كل ما هجس في نفسي. إن أعضائي تشهد عليَّ. ومتى قهرني الحزن فأنت أملي يا ربي في كل ما يحزنني. أنت تعلم ما أقول وما أنوى. أنت الكريم الغفور. إني ألوذ بجاهك فاغفر لي.

وقد زارني أحد أصدقائي المسلمين بعد كتابة الملاحظات السابقة توا فقرأت عليه القصيدة وسألته أيليق أن يمزج الدين بالخلاعة هكذا؟ فأجاب: «نعم، يليق كل اللياقة. فهذا رجل يذكر خطاياه ثم يستغفر الله ويصلي على الرسول». فقلت: «ولكن هذه قصيدة قيلت لتسلية هؤلاء الذين ينهمكون في الملذات المحرمة. ثم لاحِظْ أن الصفحة التي تصف الفسق تقابل التي تذكر أسماء الله عند ما أطوي الكتاب فيكون وصف الملذات الأثيمة فوق ذكر الاستغفار». فأجاب صديقي: «ذلك عبث. اقلب الكتاب جاعلاً أسفله أعلاه ينعكس الحال فيعلو الغفران المعصية». وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعاً وهو الغفور الرحيم» (الآية ٥٢ من سورة الزمر). وقد ذكرتني إجابته ما لاحظته كثيراً من أن غالبية العرب – وهم شعب كثير التناقض – يستمرون في مخالفة الشرع اعتماداً على أن عبارة: «أستغفر الله» تمحو كل خطية. وكان بين يدي صديقي نسخة من القرآن فوجدت فيها عند بحثي على الآية المقتبسة ورقة عليها كلمات من الكتاب الكريم، وكان الرجل على وشك أن يحرقها لئلا تسقط فتداس. فسألته: أيجوز ذلك؟ فأجاب: إما أن تحرق وإما أن تلقى في مجرى ماء. والأفضل حرقها، إذ أن الكلمات تصعد مع اللهب فتحملها الملائكة إلى السماء. ويستشهد المسلمون حتى أشدهم تُقَى بالقرآن عند المزاح. وقد حدث مرة أن طلب أحدهم أن أهدى إليه ساعة فأوعز إليَّ بهذه العبارة الملتبسة: إن الساعة آتية أكاد أخفيها (الآية ١٥ من سورة طه)

وكثيراً ما يشاهد المرء في المجتمع المصري ناساً يتلون آيات وأحاديث تناسب المقام، ولا يعتبر مثل هذا الاقتباس – كما هو الحال في مجتمعنا – نفاقاً أو مجملاً، وإنما يثير إعجاب المستمعين ويصرفهم

عن تافه الحديث إلى جده . ويشغف مسلمو مصر وغيرها من البلدان ، على ما أعتقد ، بالحديث الديني . وتُحيي أكثر الحفلات عند الطبقتين الوسطى والعليا في القاهرة بتلاوة (ختمة) أو إقامة (ذكر) . وقلما يجرؤ أحدهم على التصريح بتفضيل الموسيقى على الختمة أو الذكر اللذين لا جرم يبتهجون بهما . والحق أن الطريقة التي يرتل بها القرآن أحياناً حسنة جداً ولو أن سماع الختمة كلها قد يُمل غير المسلمين

يدهشني شدة تمسك المسلمين بدينهم على الدوام ؛ غير أنني أعجب لقلة محاولتهم دعوة الغير إلى الإسلام . وكثيراً ما عبرت عن دهشتي لتغافلهم عن نشر دينهم مخالفين أسلافهم في صدر الإسلام فكانوا يجيبونني : « أي فائدة في هداية ألف كافر ؟ هل تزيد ذلك عدد المؤمنين ؟ أبداً . لقد قدر الله عدد المؤمنين ولا يستطيع الإنسان أن يزيده ولا أن ينقصه » . ولم أخاطر بالرد خشية أن يؤدي اعتراضي إلى جدال لا حد له . وقد سمعتهم يدافعون عن إهمالهم إدخال الناس في دينهم بذكر الآية السادسة والأربعين من سورة العنكبوت : « ولا تجادلوا أهل الكتاب » دون أن يذكروا العبارة التالية مباشرة : « إلا بالتي هي أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد » . ولو كان المسلمون عملوا بهذه الوصية لأدى جدالهم إلى تحرير أفكارهم وترقية معارفهم

يقدس المسلمون المحدثون الرسول غاية القداسة ويقسمون كثيراً باسمه . ويلتمس شفاعته المتعلمون والجاهلون على السواء . ويتأثر الحجاج من زيارة القبر النبوي أكثر مما يتأثرون بقيامهم بالشعائر الأخرى . وهناك فئة لا تأتي عملاً لم يتقرر قيام الرسول به فيمتنعون خاصة عن أكل ما لم يأكله ولو ثبت إباحة تناوله . وما كان الإمام أحمد بن حنبل يأكل البطيخ لأنه مع علمه أن الرسول أكله لم يستطع أن يعرف ما إذا كان يتناوله بقشره أو بدونه أو إذا كان يكسره أو ينهشه أو يقطعه ، كما أنه نهى امرأة جاءت تستفهمه عن الغزل ليلاً على ضوء مشاعل الغير أثناء مرورهم في الشارع ، لأن الرسول لم يذكر شرعيتها ولا يُعرف عنه أنه انتفع من ضوء غيره بدون إذن . وقد أعجبتُ مرة بمنافض جميلة ينفض فيها رماد الشبُك ؛ فسألت صانعها لماذا لا يسمها باسمه ؟ فأجاب : معاذ الله ! إن اسمي أحمد وهو أحد أسماء الرسول فهل تريد أن أضعه في النار ؟ وقد سمعت شكوى الناس من الباشا لأنه وسم جمال الحكومة وجيادها باسمه (محمد علي) . وقال الذي ذكر لي هذا الحادث : إن الميسم الذي نقش عليه هذان الاسمان الواجب احترامهما ، اسم الرسول (ص) واسم ابن عمه رضي الله عنه ، توضع في النار وهذا منكر ، ثم يوضع على رقبة الجمل فيسيل الدم النجس فيدنس الاسمين المقدسين على الحديد وعلى جلد الحيوان . والمحتمل عند ما يندمل الجرح بل المحتم أن يضع الجمل وهو راقد رقبته على شيء قذر

ويبعث مثل هذا الشعور المسلمين على أن يعترضوا على طبع كتبهم . ويندر أن يكون لهم كتاب لا يتضمن اسم الله ، ولا أذكر أني رأيت كتاباً خلا منه . فالقاعدة أن يصدر الكتاب بالبسملة وتبدأ المقدمة بحمد الله والصلاة على الرسول . ويخشى المسلمون أن يدنس المداد الذي يطبع به اسم الله ، أو الورقة التي يطبع عليها . ويخشون أيضاً أن تصبح كتبهم عند طبعها رخيصة الثمن فتقع بين أيدي من لا يصونها . وفكرة استعمال فرجون من شعر الكلب ، وكانت تستعمل أولاً هنا ، لوضع الحبر على اسم الله أو على كلامه تكدرهم كثيراً . ومن ثم لم يطبع الكتب في مصر حتى الآن إلا الحكومة ؛ غير أن اثنين أو ثلاثة استأذنوها في طبع بعض الكتب في مطبعتها فأذنت لهم . وأعرف كتبياً هنا رغب طويلاً في طبع كتب كان يثق بعظيم ربحها ولكنه لم يستطع أن يتغلب على تردده في شرعية هذا العمل

(يتبع) **عدلي طاهر نور**

من صور اليوم

فستان قصير

للأستاذ على شرف الدين

بالَغْتِ فى التَّقصيرِ يا غَانيَهْ   خَلِّى قَصِيرَ الثَّوْبِ لِلْجَارِيهْ
ثَوْبٌ بخيلُ الذَّيلِ تمشى بِهِ   فَرَّارَةٌ مِنْ خدرِهَا نَائِيَهْ
كالبائعِ الجوَّالِ فى يومِهَا   لم تخلُ من تجوَالِهَا زَاوِيهْ
وتزرَعُ الأرضَ بريداً سرى
كأنها فى شَعبِه ساعِيهْ
رِعايةُ الأطفالِ قد أصبحتْ   — فيما تراهُ — عادةً باليهْ
وَتُرْسِلُ الضِّحكاتِ إِنْ أبصرَتْ
سيدةً فى بيتِهَا طاهِيَهْ
تَهَشُّ للناسِ وفى بيتِهَا   عباسةٌ صخَّابةٌ عاوِيهْ
تمشى (كَبَلْقِيسَ) وقد شمرتْ
فى القصْرِ عن سيقانِهَا العاريهْ
والجودُ فى الثوبِ دليلُ التُّقى   وآيةٌ للعفةِ الواقيهْ
جودى على ثوبك يا هذه   جودى له بالفضْلةِ الباقيهْ
إنى — على فقرى — كفيلٌ بها
رخيصةً — فى السعر — أو غاليهْ
مَنْ جاد بالجسم — على قدسه —
ما بخلُه باللبسةِ الفانيهْ ؟ !
مَنْ تجاوَزَتْ عِشرينَ أولى بها
أنْ تلزمَ المنزلَ فى عافيهْ

يا رَبَّةَ المنزلِ ما بالُهُ   تصدَّعتْ أركانُه العاليهْ ؟
فى البيتِ مُلْكٌ أنتِ فى عرشِهِ
مَليكةٌ فى شَعبِها راعيهْ
عُودى إلى خِدْرِكِ واستأنفى   سعادةً كانتْ به ماضيهْ
« فالنسرُ » لا ينقضُّ إلا على   « حمامةٍ » عن وكرِهَا نائيهْ
وإنما يفتكُ ذئبُ الورَى
— فى وثبه — بالنعجةِ القاصيهْ

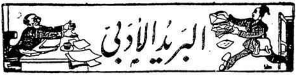
على شرف الدين

مفارقات

للأستاذ عبد اللطيف النشار

كل ما فى « مصر » يدعو للعجب !
طالب الطب شغوف بالخطب
والحقوق بتدليل الدُّمَى   والزراعى بأخبار الأدب
وبنو الأزهر صاروا ساسة
وبنو الآداب أعداء الكتب
والغوانى رائحات غاديات
فى (عماد الدين) من غير سبب
ورجال الحكم للنرد خلوا
وحديث الحكم يقضى فى (الكُلُب)
ويد الضيف وما نجحدها   تنبع الفضة منها والذهب
والسويسرى بآثار اللغى   والفرنسى بآثار العرب
وخطونا خطوة واحدة   رحمة الله على قبر ابن حرب

عبد اللطيف النشار



كم ذا ؟

ما كنت أعلم – حين تفضلت الرسالة بنشر كلمتى الأولى عن « كم ذا » هذه – أنى أثير عاصفة يدوى صوتها فى آذان هؤلاء القراء الكرام أمثال الأستاذ الكبير « البشبيشى » الذى تناولها بالرد والمناقشة أكثر من مرتين ... ولا أزال آخذ عليه وعلى غيره أن المناقشة لم تذهب إلى ما نريد ... وأنهم جنحوا إلى الإعراب والتخريج ، وهو مطلب غير مطلوب ، وبحث غير مرغوب . . . وقد طلب إلىّ بعض الأصدقاء أن أحسم النزاع فى « كم ذا يكابد عاشق ويلاقي » . . . فلم أجد أحسن من هذا الرأى القائل : « إن اللغة العربية – وإن كانت تعتمد على السماع والنقل – لا تحتم استعمال لفظ إلى جانب لفظ ، أو كلمة إلى جانب أخرى ، اللهم إلا إذا اقتضاها المقام ، أودعت إليها المناسبة . فمثلاً اختص الفعل المضارع بالسين وسوف لأن معناهما التنفيس والتسويف . . . وذلك لا يناسبه غير المضارع لوقوعه فيه . فلا نقول سَقُمتُ ولا سوف قام . وعلى هذا فلا مانع من دخول « كم » على « ذا » فى التراكيب العربية وسواء لدينا كونها للاستفهام أو الإشارة أو الموصولية أو الزيادة ، فإن هذا يرجع إلى الإعراب وهو لا يتأبى شيئاً ، ولا يضيق عن تأويل

ابراهيم على أبو الخشب

١ – شعر على بن أبى طالب

أطلعت على مقالات الأستاذ السيد يعقوب بكر فى تحقيق شعر على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ثم قرأت ما عقب به الأستاذ محمد محمود رضوان (فى العدد ٤٦٩ من مجلة الرسالة وما بعده)

وإن من المصادر الوثيقة التى أوردت ذرواً من شعره كتاب (معجم الشعراء للمرزبانى) وفيه زيادات أبيات فى بعض القطع التى نشرها الأستاذ يعقوب ، واختلافات فى بعض كلماتها ، وبيان لرواتها :

قال المرزبانى فى الصفحة ٢٧٩ : أمير المؤمنين أبو الحسن على بن أبى طالب رضى الله عنه . يروى له شعر كثير ، منه قوله يوم خيبر لما خرج مرحب يقول :

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

فقال على رضى الله عنه :

أنا الذى سمتنى أمى حيدره كليث غابات كريه المنظره

وله فى رواية سعيد بن المسيب :

أفاطم هاك السيف غير ذميم فلست برعديد ولا بلئيم
لعمرى لقد جاهدت فى نصر أحمد ومرضاة رب بالعباد عليم
أريد ثواب الله لا شىء غيره ورضوانه فى جنة ونعيم

وله :

يا شاهد الله علىّ فاشهد آمنت بالخالق رب أحمد
يا رب من ضل فإنى مهتد يا رب فاجعل فى الجنان مقعدى

إلى غير هذا مما أورده المرزبانى فى معجمه المذكور

٢ – تخطىء

مررت على تصحيح الأب الكرملى للجزء الثانى من (الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى) فى مجلة الرسالة ، فرأيت فيه (فى العدد ٤٧٤) : وفى ص ٦٧ « أسكرُجة » ، والمشهور أنها بلا ألف فى الأول

أقول : أغفل الأب تصحيح ضبط الراء . وفى المعرب للجواليقى : « الُسكُرَّجة بضم السين والكاف وفتح الراء وتشديدها فارسية معربة ، وترجمتها : مقرب الخل ، وكان بعض أهل اللغة يقول : الصواب أسكرَّجة »

وفى شفاء العليل للخفاجى : « الصواب فتح الراء المشددة »

محمد غسان

تصحيح بيتين

ورد فى مقال (أوهام تخلق متاعب) للدكتور زكى مبارك بالعدد السابق من الرسالة بيتان للشاعر صادق رستم

هذا نصهما :

شر البلية إشفاق على فئة   لو كنت تؤكل ماعفوا ولاشبعوا
تبيت تبكى لصرف الدهر يفجعهم
ولو رأوك على الأعناق ما دمعوا !!

أما النص الذى جاء به الشاعر فى قصيدته (أخلاق العصر) بالعدد الثامن من مجلة الثقافة فهو :

رأس الحماقة إشفاق على نفر   لو كنت تؤكل ماعفوا ولاشبعوا
تبيت تبكى لصرف الدهر يدهمهم   ولو رأوك على الأعناق مادمعوا !

هذا ومع أن النص الأول لم يحد عن المعنى الذى أراده الشاعر فإن من واجب الكاتب الحرص على أمانة الرواية والنقل مهما بلغت قدرته على توليد الألفاظ وتشقيق الجمل ومهما وصلت خبرته بأوزان الشعر وتفاعيله خصوصاً ، وإن البيتين المذكورين من الشعر الحديث الذى لم يغبر عليه الزمن ، ولم يتقادم به العهد ، ولم تختلف فيه الرواة .

محمود محمد حسن
المدرس بمدرسة البلينا الأولية

أغلوط

١ — كان سيدنا عبيد الله بن عباس جواداً وله قصص فى الجود مذكورة فى الكتب ، وقد ظن كثيرون أن هذا الجواد هو سيدنا عبد الله الراوية المشهور ، وبالرغم من أن الكتب تذكره بصيغة التصغير ، فإن بعض الخاصة لا يزالون يعتقدون أن الجواد هو عبد الله . وقد ترجم بعض الكاتبين لسيدنا عبد الله فساق هذه القصص ، وجهدت جهدى لإقناع أحد أساتذتى بهذا الخطأ فما استطعت ، وادعى أن غاية ما فى الأمر أن الاسم ذكر مصغراً ، وأخيراً قرأت فى النوادر لأبى على القالى فصلاً يذكر فيه أبناء العباس بن عبد المطلب فيقول : وعبد الله الحبر مات بالطائف وعبيد الله الجواد مات بالمدينة (رضى الله عن الجميع) فهو صريح فى أنهما شخصان لا واحد ذكر مرة مكبراً ومرة مصغراً

٢ — تعرض المرحوم الرافعى فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » للهجات العرب ، فذكر أن هذيلا تقلب ألف المقصور ياء حين إضافته لياء المتكلم وتكسر ما قبل الياء قال شاعرهم :

سبقوا هوِىَّ وأعنقوا لهواهم   فتخرموا ولكل جنب مصرع

وضبط هوِىّ بكسر الواو ، وما هكذا تنطق هذيل ، وإنما ينطقون بفتح الواو فيقولون « هوَىّ » ... قال العلماء : لمّا كان من الحتم كسر ما قبل ياء المتكلم ، وهو غير ممكن فى هذا ؛ لأن الألف لا تقبل الحركة ، قلبت هذيل الألف ياء ، إذ الياء أخت الكسرة

فذهب على الرافعى — رحمه الله — إلى ما إليه قصد العلماء ، فظن أن الكسرة قبل الياء المشددة لازمة ؛ فليصحح ذلك من عنده نسخة من القراء

على محمد حسن

فى « عبقرية محمد »

هـذا الكتاب جليل فى بابه ، زاد مكانة العقاد وسموه فى الأدب والتفكير ، وقد وقفنى منه أمران :

١ — فى ص ١٤٤ يذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان يتمثل بشطرات من أبيات يبدل وزنها كلما أمكن تبديله : فكان يقول مثلاً : « ويأتيك بالأخبار من لم تزود » ، لأنها لا تقبل التبديل ، ولكنه إذا نطق بقول سحيم عبد بنى الحسحاس « كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا » قدّم كلمة الإسلام فقال : كفى الإسلام والشيب للمرء ناهيا »

٢ — وفى ص ١٤٥ يورد الحديث هكذا : « كما تكونوا يولّ عليكم »

١ — وتقسيم ما يتمثل به الرسول عليه الصلاة والسلام إلى ما يمكن تبديله لم يورد المؤلف ما يؤيده ويقتضيه . والمثال الذى ذكره لما لا يمكن تبديله غير صحيح ؛ فإن تبديله ممكن ، وقد روى أن الرسول عليه الصلاة والسلام تمثل به هكذا : « ويأتيك من لم تزود بالأخبار . راجع السيرة الحلبية فى باب الهجرة إلى المدينة

٢ — والمعروف فى رواية الحديث : كما تكونوا يولّ عليكم . وحذف النون فى تكونوا للتخفيف على حد لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لحمل ما المصدرية على أن فى نصب الفعل بها ، وروى كما تكونون يولى عليكم . راجع الجامع الصغير ، والمغنى قبيل ختامه والسلام .

محمد النجار

من صميم الواقع

الحياة على المسرح تجرى حارة فى أوصال مضحكاته ومبكياته ، رغم أنها فكرة مركزة ، وصور مصغرة لما يجرى فى دنيانا ، فماذا بنا إذن لو شاهدناها حقيقة واقعة على مسرح الحياة ؟

إنها لمأساة وأية مأساة ! !

هو اجتماعى زعيم نبض قلبه بحب الناس فوقف عليهم العمر دائباً يشتغل بحل عقدهم، فكم أبهجى وأشقى . كان رحمة لم تحرمها أسرة . أرشد وهدى ، وهو فى شغله وكدحه راض لسميه ، لا يطمع فى غير جزاء الله الحسن ، لكن الله اختار له سعادة الآخرة لا الأولى ، فقاسى فى حياته ما قاسى ، مما يذيب النفس أسى عليه وإشفاقاً . سيق سوقاً إلى جحيم الحب فاكتوى بحره

لبى نداء زوجته وراح ينقذ أختها . كانت تصغرها ، وكان لها خطيب منذ صغرها شب فاجراً فساقاً ، وراح ينفق على قانصته من بنات الهوى باليمين وبالشمال . لكن أمه التى هى أصل جاهه ومصدر ثرائه ، تريد خطيبة الصغر له زوجاً ، وهو إن خالف أمه، فقد المال الذى من أجله يحب، ومن أجله يحترم . وإذ شكا الأمر إلى رفيقته الفاجرة ، خشيت أن يفلت منها ذلك الصيد الثمين ، فكادت ودبرت ، وعمل هو بكيدها ، فأقنع أمه بما جعلها هى نفسها ترجع عن تحقيق ذلك الزواج

لقد استغلا رقة عود تلك الخطيبة البريئة ، وأشاعا عنها أنها مريضة بذلك المرض الذى تنفر الدنيا ممن يصاب به ... السل ... حرمت المسكينة إذن كل خطيب وفقدت الثقة بنفسها كأنك ، ثم رأت الناس عنها بالفعل ينفرون ، ففقدت الثقة بنفسها كانسان صحيح . وفقدان الثقة فيما يتعلق بهذين الأمرين هو أصل عقدة نفسها، وأصل توهمها أنها مريضة ، ذلك التوهم الذى خلق بالفعل علتها .

لجأت الأخت الكبرى فى ذلك إلى زوجها الإنسانى الرحيم ، مستنجدة متوسلة ، عسى أن يفعل شيئاً لإنقاذ أختها البائسة التى تذوى سريعاً قبل أن يكمل ازدهارها . وعقدتها مزدوجة ، وعلتها مشتركة . فحرمانها من الرجل فى المرتبة الأولى وإن كان فى تتابع الحوادث فى المرتبة الثانية . لقد أرهقها فأضناها وهى الرقيقة التى لا تحتمل الضنى . أرهقها ، فأعلها ، بما ساعد على انتشار الأشاعة الخبيثة وزكاها . فالرجل داؤها ، والرجل لا غير دواؤها .

المرأة كالعود الرطب ، يينع وينضر ويفرع إذا ما تعهد فندى ورُوِّى بالأمل ، وساقى ذلك الأمل هو الرجل ، يسكبه فى عبارات التقدير والإعجاب ، ويفيضه من عيون البث والوجدان ، فمن لهذه العطشى بساق يروى ، فيجرى الحياة ويحيى الموات ؟!

شاء القدر ألا يكون غير الزوج الوفى ، والمصلح الاجتماعى ، فأقنعته زوجته بأن يمثل دور العاشق مع أختها

راح يقوم بدوره بإخلاص وبراءة . ومرت الأيام على تلك الحال ، فما أعجب ما حدث للأختين ! تعافت الصغرى ، فاعتلت الكبرى ! أجل . إن رشفة الحب الأولى حلوة ومسعدة ، وجرعة الغيرة الأولى مرة ومجهدة ...

وفى أثناء ذلك ، كان يرنو القدر إلى ذلك المخلوق المسير إلى هاوية شقائه ، رنو طفل على فمه ابتسامة درجت معه تنمو ما نما ، وتكبر ما كبر ، وتشيب ما شاب ، فإذا ما اخضرت على الشجرة ورقة ، واصفرت أخرى ، ونضج الثمر الشهى ، وحان القطاف ، خرجت البسمة العجوز عن صمتها ، وأرسلها الكهل الرهيب قهقهة ساخرة مدوية ، أثارت عاصفة هوجاء ، وزعزعا نكباء ، زلزلت فى شبوبها أسس السعادة ، فلم تبق ولم تذر غير مجد فى الأثر

ناء الجسد بحمل ذلك القلب الكبير ، وماد بذلك الصراع الجبار بين العاطفة والواجب ، ففزع إلى أمه الأرض فاحتضنته مات ... لكنه عاش مجسداً فى كل أثر من آثاره الطيبة ، وعمل من أعماله الجليلة . عاش مخلداً فى قلوب الناس وأفواههم يجتمعون كل عام حول نصبه التذكارى الذى أقاموه له ، يتغنون بحمده والثناء عليه ، وتتصاعد الأنغام تترى مستبقة إلى تمثاله العالى ، فإذا ما بلغت مواطئ قدميه ، ارتمت ركعاً سجداً .

عباس يونس

بين الفلسفة اليونانية والأدب اليونانى

ورد فى مقال الأستاذ خليل هنداوى وهو يبحث الصلات الفنية اليونانية فى قصيدة شاعر الحب والجمال « على محمود طه » صاحب ملحمة (أرواح وأشباح) نص هذا الاقتراح :

« أكان خيراً للعرب تناولهم الفلسفة اليونانية كما فعلوا ، أم أن يتناولوا الأدب اليونانى والفن اليونانى ؟

١ — ماهى الفوائد التى اجتناها العرب من الفلسفة اليونانية ؟

٢ — ماهى الفوائد التى كان بإمكان الأدب العربى أن يجنيها لو انكب على الأدب اليونانى وفنه ؟

٣ — أية فوائد ترجح للعرب ؟

والمجلة تحيل هذا الاقتراح على أدباء الشباب ليتناولوه بالبحث والدرس ، ومجلة «الحديث» الحلبية تمنح جائزة أدبية لأحسن مقال يعرض لهذا الموضوع عرضاً شاملاً .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)